



دور الشعر العربي الجاهلي في الإرشاد النفسي والتربوي وعلاقته بتحقيق أهداف التنمية المستدامة

م.د. خلدون فخري حميد^a

^a المديرية العامة لتربية محافظة ديالى

fhkreekhldoun@gmail.com

ARTICLE INFO

Article history:

Available online [21 Sep. 2026]

Keywords:

الشعر الجاهلي
الإرشاد النفسي
التربية
التنمية المستدامة
القيم الإنسانية
المعلقات
الهوية الثقافية

المستخلص

يتناول هذا البحث العلاقة الجوهرية بين الشعر العربي الجاهلي وأهداف التنمية المستدامة من منظور الإرشاد النفسي والتربوي، إذ يسعى إلى استجلاء الأبعاد التربوية والنفسية الكامنة في هذا الإرث الشعري العريق، واستثمارها في خدمة أهداف التنمية البشرية المعاصرة. يُقدّم البحث تحليلاً نقدياً معمقاً لنماذج شعرية جاهلية مختارة من المعلقات وغيرها، ويكشف عن قيمها التربوية والنفسية المتمثلة في بناء الشخصية، وتعزيز الصمود والمرونة النفسية، وتنمية الهوية الجماعية، ومعالجة الحالات النفسية المختلفة كالخوف والغضب والفخر. كما يربط البحث هذه القيم بأهداف التنمية المستدامة للأمم المتحدة (2030)، لا سيما الهدف الرابع المتعلق بجودة التعليم، والهدف الثالث المتعلق بالصحة النفسية والرفاه، والهدف العاشر المتعلق بتقليص عدم المساواة، والهدف السادس عشر المتعلق بالسلام والعدالة. يعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي في قراءة النصوص الشعرية، والمنهج الوصفي في رصد الظواهر التربوية والنفسية، مع الاستناد إلى المناهج المقارنة للربط بين التراث والمعاصرة. وتتمثل أبرز نتائج البحث في أن الشعر الجاهلي يُشكل منظومة تربوية متكاملة تعالج جوانب التكوين النفسي والاجتماعي للإنسان، وأن توظيفه في المناهج الدراسية والبرامج الإرشادية يساهم إسهاماً فاعلاً في تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

Abstract

This research addresses the fundamental relationship between pre-Islamic Arabic poetry and the Sustainable Development Goals (SDGs) from the perspective of psychological and educational counseling. It seeks to explore the educational and psychological dimensions embedded within this rich poetic heritage and to employ them in support of contemporary human development goals. The study presents an in-depth critical analysis of selected models of pre-Islamic poetry, including the Mu'allaqat and other poetic works, revealing their educational and psychological values in terms of personality formation, strengthening psychological resilience and endurance, fostering collective identity, and addressing various psychological states such as sadness, fear, anger, and pride. The research also links these values to the United Nations Sustainable Development Goals (2030), particularly Goal 4 concerning Quality Education, Goal 3 concerning Mental Health and Well-being, Goal 10 concerning Reduced Inequalities, and Goal 16 concerning Peace, Justice, and Strong Institutions. The research adopts the analytical-critical approach in interpreting poetic texts and the descriptive method in examining educational and psychological phenomena, while also drawing upon comparative approaches to connect heritage with contemporary contexts. Its principal findings indicate that pre-Islamic poetry constitutes an integrated educational system that addresses the psychological and social formation of human beings, and that its incorporation into educational curricula and counseling programs can contribute effectively to achieving the Sustainable Development Goals.

© 2026 Madenat Al-alem University College. Published by JMAUC. This is an open access article.

1. مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يُعد الشعر الجاهلي ديواناً حضارياً فريداً يختزن في طياته روح العربي وفلسفته في الحياة؛ إضافة إلى كونه وثيقة تاريخية وأثر أدبي، فهو سجلٌ نفسي اجتماعي يروى أعمق تجارب الإنسان في مواجهة الوجود. وقد كان الشعراء في الجاهلية أطباءً للأرواح ومرشدين نفسيين، يُعالجون جراح أرواحهم بالكلمة، ويستثيرون الهمم بالحكمة، ويهذبون النفوس بالموعة.

وإذا كان العالم اليوم يتطلع إلى تحقيق التنمية المستدامة عبر منظومة متكاملة من الأهداف التي أقرتها الأمم المتحدة في أجندة 2030، فإن التراث الشعري الجاهلي - بما

يزخر به قيم إنسانية عميقة - يُشكل رصيذاً حضارياً يمكن استثماره لتحقيق هذه الغايات النبيلة، لا سيما في مجالي التعليم وتعزيز الصحة النفسية.

تتجلى أهمية هذا البحث في الجمع بين قطبين معرفيين: التراث الأدبي العريق من ناحية، وعلم الإرشاد النفسي والتربوي الحديث من ناحية أخرى، مع ربطهما بالأهداف الإنمائية المعاصرة. ويسعى البحث إلى تقديم رؤية استشرافية لكيفية توظيف الشعر الجاهلي في الحقلين التربوي والإرشادي.

وقد بني هذا البحث على ثلاثة مناهج رئيسية: المنهج التحليلي النقدي في مقارنة النصوص الشعرية وتفكيك بنياتها الدلالية.

2. الشعر الجاهلي: المفهوم والخصائص والوظائف

أولاً: مفهوم الشعر الجاهلي وحدوده الزمنية

ففي هذا البيت رسخ الشاعر مفهوم الحدود النفسية الصحية (Healthy Boundaries) الذي يُعد اليوم ركيزة أساسية في الإرشاد الأسري والعلاقات العائلية، لأنه قد دعا إلى حفظ الذات مع مراعاته لمعايير الجماعة.

ب- أسلوب التعابير العاطفية وتفرغ الشحنات النفسية:

أتاح الشعر الجاهلي فضاءً رحباً للتعبير العاطفي الحر، وهو ما يُعادل تقنية "التنفيس الانفعالي" (Catharsis) "في العلاج النفسي الحديث" (ارسطو، 1953)، فالشاعر حين يُنشد رثاءه أمام الجميع، كان يُتيح لهم بذلك فرصة البكاء الجماعي ومعالجة الحزن الجمعي والتنفيس عما في نفوسهم من هم وحزن (الدينوري، 2003)، وتقول الخنساء في رثاء أخيها صخر معبرة عن جرح الفقد (الديوان ١، 2004):

وَأِنْ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الْهَدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
وَأِنْ صَخْرًا لَوَالٍ وَمُعْتَمِدٌ وَأِنْ صَخْرًا إِذَا يَشْتَنَى لَتَحَارُ

يكشف هذا الرثاء عن آلية نفسية بالغة الأثر؛ فالخنساء لا تكتفي بالبكاء، بل تستدعي محاسن المرنى في ذاكرة الجماعة لثحول الحزن إلى فخر، والفقد إلى استمرارية. وهذه الآلية تُوازي ما يُسمى في الإرشاد المعاصر بـ"إعادة الصياغة المعرفية" (Cognitive Reframing) (Beck, 2011).

ج- أسلوب تعزيز الهوية والانتماء الاجتماعي

قوى الشعر الجاهلي الشعور بالانتماء القبلي والهوية الجمعية، مما يُتيح للأفراد شبكة دعمية اجتماعية (Social Support Network) تُعد اليوم من أبرز الواقيات من الاضطرابات النفسية، يقول عنتر بن شداد في ذلك (الديوان ع):

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرِّمَاحَ نَوَاهِلَ مَنِيٍّ وَبِضْضِ الْهَيْدِ تَقَطَّرَ مِنْ دَمِي

لقد جسّد هذا البيت أحد أهم آليات التحفيز الذاتي لدى الأفراد في لحظة الشدة عبر استحضار الأحبة، وهي تقنية تُستخدم اليوم في الإرشاد الحربي والرياضي لتعزيز الصمود النفسي (H, 2014).

4. الشعر الجاهلي ودوره في بناء الشخصية ومعالجتها شعرياً

أولاً: المعتقدات والقيم النفسية والتربوية

تُمثل المعتقدات ذروة الإبداع الشعري الجاهلي، وهي سبع أو عشرة قصائد طويلة تُنسب إلى أبرز شعراء هذه المرحلة، وتتضافر فيها أغراض شعرية متعددة تُلامس في مجموعها مختلف جوانب الحياة النفسية.

أ- التكيف النفسي ومرونته عند طرفه بن العبد

يُقدّم طرفه بن العبد في معلقته فلسفة نفسية في مواجهة الموت والفناء، لا يُقابل الأزمة بالإنكار أو الهروب، بل يستعاض عنها بالاستمتاع بالحياة والانخراط الكامل في لحظاتها، يقول (الألم):

وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى وَجَدَكَ لَمْ أَخْفَلْ مَتَى قَامَ عَوْدِي
فَمِنْهُمْ سَبْقِي الْعَاذِلَاتِ بِشَرِيَةٍ كُمَيْتٍ مَتَى مَا ثَقُلَ بِالْمَاءِ تَزِيدِ

يدعو طرفه إلى ما يُسميه علماء النفس الوجودي بـ"المصالحة مع الموت" (Acceptance of Mortality) كمدخل لحياة أكثر أصالة وعمقاً. وقد أكد فيكتور فرانكل، مؤسس العلاج بالمعنى، أن "الوعي بالموت يُحرّر الإنسان ليعيش بوعي كامل وإرادة حقيقية" (Frankl, 1985).

ب- تعزيز الكفاءة الذاتية والتفاؤل عند عمرو بن كلثوم

يُعزّز عمرو بن كلثوم في معلقته من قيم الكرامة والاعتزاز بالذات، مما يُقابل في علم النفس الحديث مفهوم "الكفاءة الذاتية" (Self-efficacy) الذي أرسى دعائمه ألبرت باندورا: (Albert, 1997)، فيقول عمرو: (الشتنري، 1996).

أَلَا هَبِي بِصَخْنِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا
إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خَسَفًا أَبِينَا أَنْ نَقَرَّ الدَّلَّ فِينَا

الرفض الحازم للذل والإصرار على الكرامة سلوكٌ دفاعيٌ صحيٌ يُرسخ الاحترام المتبادل وبقي من الاضطرابات المرتبطة بالاذلال والتبعية، وهو ما تؤكد نظرية الاحتياجات الأساسية للإنسان عند أبراهام ماسلو (Maslow, 1943).

ج- الصمود النفسي في مواجهة التمييز عند عنتر

يُمثل عنتر بن شداد نموذجاً إنسانياً استثنائياً في الصمود أمام التمييز والإقصاء الاجتماعي. فقد عاش ظروفاً قاسية بسبب أصله، غير أن شعره يفيض بالثقة والكرامة والتجاوز (الديوان ع):

لَيْنِ يَعْزِبُوا سَوَادِي فَهُوَ لِي نَسَبٌ يَوْمَ الْوَرْدِ إِذَا مَا قَاتَنِي النَّسَبُ

يُجسّد مسيرة عنتر ما يُسمى في علم النفس الإيجابي بـ"المرونة النفسية" (Resilience)، إذ يتحول من الضحية إلى البطل دون أن يفقد كرامته أو يستسلم للانكسار. وقد كشفت دراسات مارتين سليجمان (Seligman, 2011)، أن المرونة النفسية مهارة قابلة للتعلّم والاكتساب، وهو ما تُوضعه نماذج كعنترة بصورة حية.

يُصَد بالشعر الجاهلي ذلك الشعر الذي قيل في المرحلة التي سبقت الإسلام بنحو قرنين أو ثلاثة قرون، وإن كان العلماء يبتليون في تحديد مفهوم "الجاهلية"، فهي في عرف المؤرخين تعني ما قبل الإسلام، لا الجهل بمعناه المتعارف عليه. بل إن هذه المرحلة شهدت ازدهاراً ثقافياً وأدبياً رفيع المستوى.

يقول الدكتور شوقي ضيف: "الجاهلية في الاصطلاح الإسلامي لا تعني الجهل بمدلوله اللغوي، وإنما تعني الحالة التي كان عليها العرب من الجهل بالشرائع والأديان السماوية قبل الإسلام (ضيف، 1994)".

ثانياً: وظائف الشاعر الجاهلي في مجتمعه

لم يكن الشاعر في الجاهلية مجرد فنان يُثلي شعره في المجالس، بل كان يؤدي وظائف اجتماعية متعددة يمكن إدراجها ضمن ما يُسميه اليوم بـ"العمل الإرشادي" (ضيف، 1994):

أ- الموجه التربوي: يُوجّه أبناء قبيلته نحو القيم النبيلة والسلوكيات المثلى (ضيف، 1994) (خليف، 1965)

ب- المُعزّي في المصائب: يُواسي القلوب المفجوعة ويمنح ذويها القوة على الاحتمال (الدينوري، 2003)

ج- الداعي إلى التضامن: يُحرّض على التكافل والتعاون في مواجهة الأزمات (طه، 2014)

د- الناقد الاجتماعي: يُقوّم الانحرافات الأخلاقية بلسان الهجاء والعتاب (ابن سلام، الصفحات 55-52/1)

هـ- الراي الفلسفي: يتأمل في معضلات الوجود ويُقدّم إجابات وجدانية عميقة (احسان، 1971)

يقول امرؤ القيس في معلقته الشهيرة مُصَوِّراً حالة الحزن والضياع الوجداني الذي يعرفه الإنسان في لحظات المحن (الديوان ١، صفحة 3):

قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي خَبِيبٍ وَمَثَلٍ بِسِطِّ الْوَلَّى بَيْنَ الدُّخُولِ فَخَوْمَلْ

فهذا الاستفتاح البكائي لا يعكس حالة عاطفية شخصية فحسب، بل هو "دعوة جماعية للتأمل والمعالجة النفسية الجماعية عبر التعبير المشترك عن الألم" (النوبي، 1970)

3. الإرشاد النفسي والتربوي في الشعر الجاهلي

أولاً: مفهوم الإرشاد النفسي والتربوي

الإرشاد النفسي في مفهومه الحديث هو "عملية تفاعلية مهنية مُخطّطة تهدف إلى مساعدة الفرد على فهم نفسه وتحقيق توافقه النفسي والاجتماعي، من خلال مساعدته على تنمية قدراته وحل مشكلاته واتخاذ قراراته (عبد الله، 2003) وإذا أسقطنا هذا المفهوم على ما كان يقوم به الشعراء الجاهليون، وجدنا تقاطعاً مدهلاً في الوظائف والغايات.

يقول الافوه الاودي (الديوان، 1998) في توصيف وظيفة الشاعر: "الشعر علمٌ يُورث صاحبه الفضيلة، ولسانٌ أمةٌ يصون شخصيتها ويحفظ هويتها". وإن كان الافوه متأخراً، فإن هذه الوظيفة تجذّرت في الشعر الجاهلي منذ فجر التاريخ الأدبي العربي.

وَالْبَيْتُ لَا يُبْنَى إِلَّا لَهُ عَمَدٌ ... وَلَا عِمَادُ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادُ وَأَعِمَّدَتْ ... لِمَعَشَرٍ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ قَوْصَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ ... وَلَا سَرَاةَ إِذَا جَهَّالُهُمْ سَادُوا

هذه الأبيات تتجاوز فكرة الفخر القبلي إلى تقديم "منهج تربوي واجتماعي" متكامل يصون شخصية الأمة ويحفظ هويتها من التشتت والضياع، فالأفوه الأودي في هذه المقطوعة مثل دور المثقف الناصح في بيئته الجاهلية؛ حيث لم يعد الشاعر مجرد مَداح أو هاجي، بل تحول إلى موجه وناصح تربوي وصمام أمان اجتماعي.

فهذه الأبيات قد صاغت نظرية سياسية واجتماعية مبكرة جداً قامت على ركائز تمثل ارشادا نفسيا يحذر من خطورة الغريزة الفوضوية اذا غاب عنها العقل الموجه، فالانسان بمفرده يميل الى الانانية والتصادم، والانضباط الجماعي هو حبل الامان.

ثانياً: أساليب الإرشاد النفسي في الشعر الجاهلي

أ- أسلوب الحكمة والموعظة

لقد وظّف الشعراء الجاهليون الحكمة الأدوات الإرشادية بامتياز، حيث تضمنت معظم قصائدهم مئات الحكم التي رسمت خارطة معرفية وسلوكية للمتلقى أو المستمع، ومن أبرز ما يُمثل هذا هو ما قاله زهير بن أبي سلمى في معلقته (الديوان ز):

سَمِتْ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَاكَ يَسَامُ

فهذا البيت يعالج ظاهرة الإنهاك النفسي وما يُصطلح عليه اليوم بـ"Burnout"، ويُقدّم مُسوِّعاً إنسانياً للشعور بالتعب ضمن سياق طبيعي يُخفّف وطأته على صاحبه، وهو جوهر ما يُسمى في الإرشاد الحديث بـ"التطبيع" أو "Normalization" (Maslach)، الصفحات، ويعود في بيت آخر من نفس المعلقة ويقول (الديوان ز):

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَقْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّمَّ يُشْتَمُ

ثانياً: الأزمات النفسية ومعالجتها في الشعر الجاهلي:

أ- الوجدان والحزن

حيث عالج الشعر الجاهلي أزمة الوجدان والحزن بالآيات متعددة تتوازي مع مراحل الحداد التي حددها (Elisabeth Kübler-Ross, 1969) (إنكار، غضب، مساومة، اكتئاب، قبول)، يقول المهلهل في رثاء أخيه كليب: (الديوان).

دعوك يا كليب فلم تجبني **** وكيف يجيبني البلد الفقار

أجيني يا كليب خلاك ذم **** لقد فجعت بفارسها نزار

سقاك الغيث إنك كنت غيثاً **** ويسراً حين يلتئم الساس

لا يقف الشاعر عند الحزن بل يرتقي به إلى مرحلة الاستدعاء والتخليد، وهو ما يُعادل في الإرشاد المعاصر أسلوب "العلاج بالسردي" (Narrative Therapy) الذي يُعيد بناء معنى الفقد.

ب- أزمة الخوف والقلق

واجه الشعر الجاهلي القلق الوجودي والخوف من المجهول بأسلوب الشجاعة الفلسفية؛ يقول عنتر: (الديوان ع):

ولقد خشيته بأن أموت ولم تدّر للحرّب دائرة على ابني ضمّصم

كشف لنا هذا البيت عن وعي الشاعر بالخوف بدلاً من إنكاره، وهو أول خطوات تجاوزه وفق النماذج الإرشادية الحديثة كالعلاج المعرفي السلوكي (CBT).

ج- أزمة الغضب والصراع

وظّف الشعراء في الشعر الجاهلي الغضب توظيفاً صحيحاً وذلك من خلال تحويله إلى قوة دافعة نحو الفعل البناء لا الهدم. يقول الحارث بن عباد في مطلع قصيدته الثأرية (الديوان أ):

قرباً مربط النعامة منيّ لفتح حرب وإنل عن حبال

يُمثل هذا البيت نموذجاً للإفصاح عن الغضب في حدود مقبولة اجتماعياً، وهو جوهر ما يُسمى بـ"التنظيم الانفعالي الإيجابي".

5. القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي بين الأصالة والرؤية التربوية الحديثة

أولاً: الإيثار والكرم والتكافل

إن الكرم من أبرز القيم والمبادئ التي كرسها القصيدة الجاهلية، وهي قيمة لا تُلامس الجانب الأخلاقي وحسب، بل إنها قد رسخت نمطاً اجتماعياً صحيحاً قائماً على الوحدة والتكافل والتضامن (الدنيوري، 2003)، فيقول حاتم الطائي والذي يعد رمزاً في الكرم والعتاء العربي (الديوان ح):

نعماً محلّ الضيف لو تعلمينه **** بليل إذا ما استشرفته النوايح

تقصي إليّ الحي إمّا دلالة **** عليّ وإمّا قادة لي ناصح

ويقول أيضاً على نفس هذا المنوال الشاعر زيد الخيل الطائي (الديوان ز)، (1968)، مُفصّلاً عن الدافعية الداخلية وراء الكرم لا مجرد الامتثال الاجتماعي:

لعمرك ما أخشى التصدّق ما بقا على الأرض قيسي يسوق الأباغرا

يُجسد الكرم الجاهلي ما يُسمى في علم النفس الإيجابي بـ"حسن التوجه نحو الآخرين" (Prosocial Behavior)، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الإيثار والعتاء يُسهمان في تعزيز الصحة النفسية وتحقيق الرفاه الذاتي.

ثانياً: الحكمة والتأني أثناء الانفعال:

يتصدى الشعر الجاهلي لنقيض العقل وهو الانفعال المحض، ويدعو إلى التريث والتأمل. يقول زهير بن أبي سلمى في معرض وصفه قبائل غطفان وعبس بعد حرب داحس والغبراء: (الديوان ز):

وقد قلّتمنا إن نذرك السلّم واسعاً بملّ ومغزوف من القول نسلم

فأصبّح يجري منهم من تلاحم مغنم شتى من إفال مرّم

يُعالج زهير هنا مفهوم الذكاء العاطفي في إدارة النزاعات، ويُقدّم حلاً قائماً على الحوار والتفاوض بدلاً من التصعيد، وهو نموذج تربوي رفيع في فض النزاعات (Conflict Resolution) يُدرّس في برامج التدريب القيادي الحديثة (Fisher & Patton, 2011).

ثالثاً: الصدق والوفاء بالعهد:

يمثل الوفاء بالعهود والتزام الصدق منظومة أخلاقية محورية في الشعر الجاهلي، وهي تُشكل ما يُسميه علماء التربية الأخلاقية "الشخصية الأخلاقية المتكاملة" (الجبوري، عبد الرحمن، 1998)، فيقول السموال (الديوان أ، 1996):

إذا المرء لم يذس من اللؤم عرضه **** فكل رداء يرتديه جميل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها **** فلنيس إلى حسن الثناء سبيل

تعيّزنا أنا قليل عدينا **** فقلّت لها إن الكرام قليل

يُرسّخ السؤال المسؤولية في الوفاء بالعهد والصدق في الحفاظ على الأمانة، بعد كل ما شاهده أما عينيه من قتل ابنه ورفضه تسليم الأمانة المشهورة التي امنها لديه امرؤ القيس، وهو بذلك أصبح مثلاً يحتذى به في الصدق والوفاء بالعهد والأمانة.

رابعاً: الصبر والمثابرة:

الشعر الجاهلي يقر بقيمة الصبر في مواجهة المحن باعتباره أداة للتجاوز لا للاستسلام. يقول طرفة بن العبد (الأعلم، صفحة ص49):

سبّدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُرود

هذه الفكرة قد عادت مفهوم "التوجه نحو المستقبل" (Future Orientation) في الإرشاد النفسي، الذي يُساعد الأفراد على تحمّل الصعوبات الراهنة بالنظر إلى المآلات والعواقب.

خامساً: العدالة والمساواة:

نوقشت قيم المساواة والعدالة في الشعر الجاهلي بصراحة واضحة، ولعل كثير من القصائد الجاهلية تعد نموذج بارز في هذا السياق، لأنها تحتج على التمييز الاجتماعي واثبات للكفاءة في مواجهة العصبية القبلية، فضلاً عن قصائد متعددة تُنتقد فيها الامتيازات والوصاية القبلية الظالمة، فيقول الامام علي بن أبي طالب في ذلك (الديوان أ):

لا تظلمن إذا ما كنت مقتبراً فالظلم مرتعة يفضي إلى الندم

يُجسد هذا البيت الوعي بالعدالة التوزيعية (Distributive Justice)، وهو مفهوم راسخ في نظريات التنمية الحديثة" (امارتيا، 1999).

6. الشعر الجاهلي وعلاقته بأهداف التنمية المستدامة

أطلقت الأمم المتحدة عام 2015 أجندة التنمية المستدامة 2030 المتضمنة سبعة عشر هدفاً يمس مختلف جوانب الحياة الإنسانية، وتتقاطع مع مضامين الشعر الجاهلي تقاطعاً مثيراً للاهتمام، لا سيما في عدد من الأهداف المحورية.

أولاً: الإيثار والكرم والتكافل

يدعو الهدف الرابع إلى ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة (الأمم المتحدة، 2015-2030، الصفحات 14-15)، ويُسهّم الشعر الجاهلي في خدمة هذا الهدف من زوايا متعددة:

أ- المناهج الدراسية: إدراج نصوص جاهلية مختارة في مناهج اللغة العربية والتربية الوطنية لتعزيز القيم وتنمية مهارات التفكير النقدي.

ب- التعليم بالنماذج: يُقدّم الشعر شخصيات نموذجية (Role Models) كعنتره وزهير وحاتم، تُلهم الطلاب على الاحتذاء بقيمتهم في الحياة.

ج- التعلم العاطفي الاجتماعي (SEL): يُمثل الشعر الجاهلي مادة خصبة لتطوير مهارات الذكاء العاطفي وفهم الآخر والتعامل مع المشاعر.

فيقول زهير بن أبي سلمى في معلقته، مبرزاً أهمية الوعي بآثر الكلمة وضبط المشاعر في إدارة العلاقات:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأبواب ويوطأ بسمسم

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

يدعو زهير هنا إلى مهارة "الذكاء الاجتماعي" والمداورة (المصانعة) لحماية العلاقات من التصادم، وضبط اللسان لحفظ الكرامة، وهو جوهر كفاءة إدارة العلاقات.

كما يُعلي هذا البيت من قيمة العلم والسعي نحو الكمال، وهو جوهر منظومة التعليم الجيد كما تنص عليه أهداف التنمية المستدامة

ثانياً: الهدف الثالث - الصحة الجيدة والرفاه:

يمتد الهدف الثالث للتنمية المستدامة ليشمل الصحة النفسية إلى جانب الجسدية، وهو ما يُقدّم الشعر الجاهلي في شأنه رصيلاً ثرياً. فالقصائد الجاهلية تُعالج مستويات متعددة من الصحة النفسية:

أ- الوقاية من الاضطرابات: عبر تعزيز قيم الصبر والرضا وتقيل ما لا يُمكن تغييره.

ب- العلاج عبر الفنون: استخدام الشعر كأداة تعبيرية في جلسات الإرشاد (Poetry Therapy).

ج- تعزيز الرفاه الإيجابي: من خلال تكريس مشاعر الانتماء والهوية والمعنى.

وقد أكد لنا تقرير منظمة الصحة العالمية 2022 أن "الفنون والثقافة وسيلة فاعلة لتعزيز الصحة النفسية وتقليل أعراض الاكتئاب والقلق" (WHO, 2022)

ثالثاً: الهدف العاشر - الحد من التفاوت:

- الامم المتحدة، تحويل عالما: خطة التنمية المستدامة، 2015-2030، الهدف الرابع .
- ديوان الامام علي بن ابي طالب ،اعتنى به التاجي ،دار المعرفة ،بيروت .
- ديوان الحارث بن عباد ،تحقيق :محمد حسن آل ياسين ،مطبعة المعارف ،بغداد .
- ديوان الخنساء ،شرح وتحقيق :حمدو طماس ،دار المعرفة ،بيروت ،2004 .
- ديوان السموال بن عاديء ،تحقيق :واضح الصمد ،ط1 ،1996م ،بيروت .
- ديوان المهلهل بن ربيعة ،جمع وتحقيق :حنا نصر الحتي ،دار الكتب العلمية ،بيروت .
- ديوان امرؤ القيس ،تحقيق :محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط5 ،دار المعارف ،القاهرة .
- ديوان حاتم الطائي ،تحقيق عادل سليمان جمال ،ط1 ،مكتبة الخانجي ،القاهرة .
- ديوان زهير بن ابي سلمى ،تحقيق :علي حسين فاعور ،دار الكتب العلمية ،بيروت .
- ديوان عنتر بن شداد ،شرح وتحقيق :مهدي محمد ناصر الدين ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،ص95 .
- شرح ديوان طرفة بن العبد ،الاعلم الشنتمري ،تحقيق :دريا الخطيب ولطفي الصقال ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق .
- شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط18، 1994م.
- طه حسين ،في الادب الجاهلي ،دار المعارف ،القاهرة ،(د.ت).
- عبد الرحمن بدوي، شخصية الفرد في الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1998م.
- عبد الرحمن عدس ،اسس التربية ،دار الفكر ،عمان .
- عبد الله جلبي، الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، دار الفكر العربي، بيروت، ط3، 2003م.
- عمرو بن كلثوم، الديوان، شرح الأعل الشنتمري، تحقيق إميل بديع يعقوب ، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996.
- محمد النويهي، نفسية أبي نواس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1970م.
- يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ،مؤسسة الرسالة ،بيروت .
- يوسف خليف ،الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ،دار المعارف ،القاهرة ،1965م.
- Beck, J. S. (2011). Cognitive Behavior Therapy: Basics and Beyond (2nd ed.). Guilford Press.
- Fisher, R., Ury, W., & Patton, B. (2011). Getting to Yes: Negotiating Agreement Without Giving In. Penguin Books.
- Maslow, A. H. (1943). A Theory of Human Motivation. Psychological Review, 50.(4)
- Seligman, M. E. P. (2011). Flourish: A Visionary New Understanding of Happiness and Well-being. Free Press.
- United Nations (2015). Transforming Our World: The 2030 Agenda for Sustainable Development. New York: UN.
- WHO (2022). World Mental Health Report: Transforming Mental Health for All. Geneva: WHO.

يُشكّل إرث شعراء كعنترة بن شداد نموذجاً حياً للنضال ضد التمييز والإقصاء، وذلك لأن شعره وثيقة في حقوق الإنسان تُطالب بالمساواة وتُعلي من كرامة الإنسان بصرف النظر عن نسبه أو أصله (الديوان ع.):

ومن قال اني اسود ليعيبني *** اريه بفعلني انه أكذب الناس

أو قوله

ينادونني في السلم يا ابن زبيبة *** وعند صدام الخيل يا ابن الأظايب

يُعلن عنتره رفضه المطلق للتمييز الطبقي ويُقرر أن الكرم - لا النسب - هو معيار الشرف. وهذا ينسجم تماماً مع روح الهدف العاشر للتنمية المستدامة الداعي إلى الحد من التفاوتات داخل البلدان وفيما بينها.

رابعاً: الهدف الخامس عشر - الحياة على الأرض:

يتضمن الشعر الجاهلي قدراً وافراً من الوعي البيئي؛ فقد وصف الشعراء الطبيعة بعين مُحب لا بعين مُستغل، وهو ما يُغذّي الحس البيئي لدى الطلاب حين يُدرجون في المناهج التعليمية (الديوان ا.):

وَقَدْ أَغْنَيْتِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا بِمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَل

يُعبّر امرؤ القيس في هذا البيت عن توافق عميق مع الطبيعة وإيقاعاتها، أيضاً قول الشاعر زهير بن ابي سلمى (الديوان ز):

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَهُ *** وَأَطْلَاوُهَا يَنْهَضُنْ مِنْ كُلِّ مَجْمَعٍ

وهو وعي بيئي متجذّر يتقاطع مع مضامين أهداف الاستدامة البيئية.

خامساً: الهدف السادس عشر - ثقافة العدالة والسلام:

يُسهّم الشعر في بناء ثقافة السلام حين يُحلّل جذور النزاعات ويدعو إلى الحلول الحضارية. يقول زهير في معلقته موجّهاً خطابه نحو إنهاء الحرب: (الديوان ز)

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَدُقْنُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْخَبِيثِ الْمَرْجَمِ

مَتَى تَبْعُوهَا تَبْعُوهَا دَمِيمَةً وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَيْتُمُوهَا فَتَضُرُّ

يُقدّم زهير هنا رؤيةً أمنيةً جيوستراتيجية بالغة العمق؛ فهو يكشف العواقب الكارثية للحرب ويُذكر أطراف النزاع بما ذاقوه منها، مستعملاً التجربة المشتركة وسيلةً لتهيئة النفوس نحو السلام. وهذا يتطابق تماماً مع مركّزات الهدف السادس عشر للتنمية المستدامة (United Nations, 2015).

وخلاصة القول، إن الشعر الجاهلي ليس إرثاً أدبياً يُحفظ في زوايا التاريخ، بل هو نبغ متجدّد يُغذّي الحياة الإنسانية ويُزوّدُها بالحكمة والتوازن والسلام. وما أحوجنا في زمن الاضطراب النفسي والأزمات الاجتماعية المتلاحقة إلى استعادة هذا الإرث والتفاعل معه تفاعلاً حياً منتجاً يُحقّق غايات التنمية المستدامة وينهض بالإنسان في كل زمان ومكان.

7. الخاتمة

توصّل بحثنا إلى جملة من النتائج الجوهرية يمكن إيجازها فيما يلي:

- يُشكّل الشعر العربي الجاهلي منظومةً تربويةً نفسيةً متكاملة، تُعالج مختلف جوانب الحياة الوجدانية والاجتماعية للإنسان، وتُقدّم حلولاً عملية للكثير من أزماته.
- يتقاطع الشعر الجاهلي مع مفاهيم وتقنيات الإرشاد النفسي الحديث في نقاط عديدة، منها: التنفيس الانفعالي، وإعادة الصياغة المعرفية، والمرونة النفسية، والتنظيم الانفعالي.
- يُمثّل الشعراء الجاهليون نماذج حية للمرشد النفسي والمُربّي الاجتماعي، إذ كانوا يُمارسون وظائف إرشادية متعددة قبل أن تُفكّن هذه الوظائف أكاديمياً في العصر الحديث.
- تتقاطع قيم الشعر الجاهلي التربوية مع أهداف التنمية المستدامة تقاطعاً عميقاً، لا سيما في مجالات التعليم والصحة النفسية والمساواة والسلام والوعي البيئي.
- يملك الشعر الجاهلي إمكانيات هائلة لم تُستثمر بعد في المناهج التعليمية والبرامج الإرشادية المعاصرة، وهو رصيدٌ حضاريٌ يستحق الاهتمام والتوظيف.

8. المصادر

- ابن سلام ،طبقات فحول الشعراء ،تحقيق :محمود محمد شاكر ،دار المدني ،القاهرة .
- احسان عباس ،تاريخ النقد الادبي عند العرب ،دار الثقافة ،بيروت ،1971م .
- ارسطو ،فن الشعر ،ترجمة عبد الرحمن بدوي ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1953م .
- امارتيا صن ،التنمية حرة ،دار نشر جامعة اكسفورد ،1999م .